مع اسرائيل عملاً مقدساً لا يجوز نقده او التعرض له، لدرجة انه اجرى استفتاء بتاريخ ٢٠ نيسان (ابريل) ١٩٧٩ حول معاهدة الصلح، واعتبر ان موافقة الشعب عليها كفيل برفعها الى مستوى لا يجوز معه انتقادها، واعتبارها جزءاً من تراث مصر.

تضحية بمصالح مصر

وقد وصل ايمان السادات بعلاقته الجديدة مع اسرائيل، وميله اليها، الى الدرجة التي اصبح عندها مستعداً للتضحية بمصالح مصر لحساب اسرائيل؛ مثل تطوعه باقتراح مشروع «زمزم الجديدة» القاضي بتوصيل مياه النيل الى صحراء النقب ومنها الى القدس. ففي «يوم الثلاثاء ٢٧ تشرين الثاني (نوفمبر) الماضي [١٩٧٨] اعطى الرئيس السادات اشارة البدء في حفر ' ترعة الاسماعيلية ' فيما بين فارسكور والتينة عند الكيلو ٢٥، طريق الاسماعلية ـ بورسعيد، لتتجه تحت قناة السويس الى سيناء، لتروي نصف مليون فدان. وقد التفت الرئيس السادات الى المختصين، وطلب منهم اعداد دراسة علمية كاملة لتوصيل مياه نهر النيل الى مدينة القدس لتكون في متناول المؤمنين المترددين على المسجد الاقصى ومسجد الصخرة وكنيسة القيامة وحائط المبكى. وقال الرئيس: ونحن نقوم بالتسوية الشاملة للقضية الفلسطينية، سنجعل هذه المياه مساهمة من الشعب المصري، وباسم مئات الملايين المسلمين، تخليداً لمبادرة السادات. وقال: باسم مصر وازهرها العظيم، وباسم دفاعها عن الاسلام، تصبح مياه النيل ' آبار زمزم ' لكل المؤمنين بالاديان السماوية الثلاثة. وكما كان مجمع الاديان في سيناء بالوادي المقدس طوى رمزاً لتقارب القلوب في وجهتها الواحدة الى الله سبحانه وتعالى، فكذلك ستكون هذه المياه دليلاً جديداً على اننا دعاة سلام وحياة وخير»[٨].

واخذ السادات يروج لمشروع مد مياه النيل الى اسرائيل، ويسوق، في كل مرة، حججاً جديدة: «انا قاعد علشان اكون عامل مساعد لقيام السلام الشامل، واقدم ما يمكن ان يسهل هذا، واللي من ضمنه ـ وانا قلته ـ انه بودّي إلى البقعة المقدسة عندنا في القدس، بودّي لها الميّة هناك، باوصل لها المية، ماء النيل، علشان اقول للفلسطينين ولاسرائيل، انا عايز اسهل مهمتكم انتم الاثنين ونعيش كلنا في سلام»[٩].

وقد أدى ذلك الى اثارة موجة عارمة من السخط الشعبي في مصر، لأن اسرائيل «التي تشح فيها المياه الى درجة خطيرة تحد من قدرتها على استزراع الارض واستيعاب الاعداد المطلوبة من المهاجرين والمستوطنين لمضاعفة كثافتها السكانية بما يقوي من وزنها السياسي والعسكري والاقتصادي في المنطقة، تخطط، تحت قناع السلام وعلاقات التطبيع، لامتصاص ما لا يقل عن ٢ مليار متر مكعب من مياه النيل لتعمير صحراء النقب، وذلك على حساب احتياجات الفلاح المصري وتوفير مياه الشرب للمدن والقرى... متزايدة السكان على مدى السنين»[١٠].

ولم يؤد عرض السادات توصيل مياه النيل الى اسرائيل الى حدوث ضجة ومعارضة في مصر فحسب، وانما في عدد من دول حوض نهر النيل: اثيوبيا والسودان واوغندا وكينيا، الخ. وحتى الرئيس السوداني السابق، جعفر نميري، الذي ايد السادات في سياسته نحو اسرائيل، اعلن معارضته لهذا الاقتراح. كما هددت الحكومة الاثيوبية ببناء سدود تقلل بها من كمية المياه المتجهة الى مصر ما دامت ليست في حاجة اليها. واعلنت دول حوض نهر النيل انها لن تسمح لمصر بنقل مياه النيل الى قارة اخرى، هي قارة آسيا، مخالفة بذلك الاتفاقيات الموقعة فيما بين هذه الدول. فكان رد السادات غريباً؛ اذ شن حملة عنيفة ضد اثيوبيا واتهم السوفيات بأنهم يشجعونها لمنع المياه عن مصر. واعلن ان مصر ستحارب اثيوبيا ان نفذت تهديدها. ولتغطية مشروعه أثار موجة من الهلع بين المصريين من مؤامرات